ISSN: 2253-0347
مجلــة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 10 / العدد: 02 / السنة: 2021 / ص ص: 305-323

حقيقة الفلسفة الإسلامية بين جدلية النفي والإثبات

The truth of Islamic philosophy between the dialectic of negation and proof

تاريخ الإرسال: 2021 /04/27 تاريخ القبول: 2021 /05/18 تاريخ النشر: 2021/06/10

جمال خن[1] محمد زيان[2]

[1] جامعة أحمد زبانة غليزان ، الجزائر ، Email : khenjamel3@gmail.com

[2] جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، Email : mohamed.ziane@univ-biskra.dz

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى ابراز قيمة الفلسفة الاسلامية حيث ينازع في أحقية الفلسفة الإسلامية وأصالتها رأيان، كل يتكئ في إثبات صحة موقفه على جملة من المصوغات تنتصر في إثباتاتها على الرأي المنافي لها، لكن الذي لا نختلف فيه أن الحملة الشرسة على أهميتها وقيمتها خاصة من لدن بعض المستشرقين المتعصبين تندرج في إطار ما نسميه سرقة الموروث وهدم للحضارات وجعلها قائمة وموجودة في التاريخ فقط بفضل الغرب.

إن النظرية المركزية الغربية لم تنته ولا يمكنها أن تنقضي حتى ولو أننا في عصر يدعي أنه يؤمن بالانفتاح على الأخر ويضع معه آليات للفهم و فلسفة للتواصل والتعايش مع الأخر. لذا جاءت إشكاليتنا هذه لتوضح حقيقة هذه الجدلية المتعلقة بإثبات ونفي للفلسفة الإسلامية، وما مدى مساهمتها في الفكر الإنساني عموما.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الإسلامية؛ الإستشراق؛ فلاسفة الإسلام؛ الفلسفة المركزية؛ الإبداع الفلسفي.

المؤلف المرسل: خن جمال، Email : khenjamel3@gmail.com

Abstract:

This article aims to highlight the value of Islamic philosophy as it is There are two types of opinions that mark the originality of the islamicpilosophy. Each opinion tries to set arguments whichcontrary the other opinion. But the factthatwecan't diverge on it, lies in its importance and value amongsomefanaticorientalists, thatisconsidered as a theft of the patrimony and the destruction of the civilizations and let themfixed by the occident.

The occidental central theorywill not disappearalthoughwe live during the era of openness to the other by setting tools and mechanisms of comprehension and a philosophy of communication and cohabitation withothers. Our problemstatementis to enlightenthisdialectic about the affirmation and negation of the islamicphilosophy and its contribution to the humanthought .

Key words : islamicphilosophy; orientalism; philosophers of islam; central philosophy ; philosophy of creativity.

مقدمة:

تعد الفلسفة الإسلامية حلقة مهمة في تاريخ الفكر الفلسفي الإنساني، من خلال اعتبارها حلقة وسطى بين التفكير اليوناني والتفلسف الغربي المسيحي(الحركة الرشدية)، و إن كان زمنيا تعتبر الفلسفة المسيحية قبل ذلك. لكن طبيعة الفكر التي تتميز بأنها تراكم معرفي مرتبط وفق تسلسل منطقي من خلال الأفكار وعملية التأثير والتأثر بين الحضارات وتلاقح الثقافات، يلزمنا بالقول أن كل ميراث كل حضارة يعتبر ضروريا لفهم تاريخ الفلسفة، وعليه تعد الفلسفة الإسلامية من أبرز المحطات التاريخية التي يتوجب الوقوف عندها وإعطائها القيمة القصوى التي تستحقها بالشرح والتحليل.

قد يعترض الكثيرين على أهمية الفلسفة الإسلامية وقيمتها في الفكر الفلسفي العالمي وما مدى إضافتها وإسهامها فيه، وان ما يطلق عليه لفظ – الفلسفة الإسلامية – اعتباطا لا يتطابق فعليا مع دلالة اللفظ لمجموعة من الاعتبارات سنوضحها أثناء توضيح مفهوم الفلسفة الإسلامية. لا زالت هذه الأخيرة لم تنل اعترافا كاملا من قبل المؤرخين في هذا المجال وجعل دورها هامشيا، لم تكن لأن تظهر لولا العبقرية اليونانية التي سدت منافذ الإبداع الفلسفي، وأن الإبداع والتجديد في حد ذاته لم يتجلى في فلاسفة هذه الحضارة، حتى ولو كان هؤلاء الفلاسفة يتقدمهم الشيخ الرئيس ابن سينا، أبي نصر الفارابي، ابن رشد وغيرهم .. ممن برزوا في هذه الحضارة. الفلسفة الإسلامية لفقت لها من مجموعة من السلبيات والنقائص أولاها على أنها مقلدة لم تستطع أن تتملص من الإشكاليات الكبرى التي حددتها الفلسفة اليونانية أنفا.إضافة للرفض الحاصل آنذاك أثناء بداية ولوج هذا الفكر في بدايته الأولى مع حركة الترجمة، كما أن هذا الرفض لا يزال قائما ويتجدد في كل لحظة خاصة إذا رأى أصحاب المصالح (السياسية أو الدينية على السواء) أنهم مهددون في عروشهم أو زعامتهم ليكيلوا لها كل الاتهامات قصد التضييق على منتحليها وجعلها مرفوضة شعبيا وعلى نطاق واسع في الأوساط النخبوية، خاصة المتأثرة بأيديولوجيات معينة.

نحاول من خلال هذا العمل أن نتتبع البدايات الأولى للتفلسف عند المسليمين من الصدر الأول وبالتحديد لحظة وفاة نبي الأمة ورسول الإنسانية محمد بن عبد المطلب عليه أفضل التسليمات والتبريكات، وما نتج عنه من اختلافات ارتبطت أساسا بمسألة الخلافة وأولية الخليفة، ثم طبيعة الموضوع إذا كان شأنا سياسيا وهو بمثابة فرع من فروع الدين أو كان عقائديا يعتبر من أصول الشريعة، أي أن ولي أمر المؤمنين موصى عليه من طرف الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم، موضوع خلافة النبي قد أخذ حيزا كبيرا في سيجالات الرعيل الأول من الصحابة الكرام وأدى بهم في كثير من المرات إلى الصراع والفرقة، بل بالعكس أضحى فكرا مقننا وفق ضوابط الحجاج والمنطق، فظهرت فرق كلامية عدة ساهمت في إثراء الرصيد الإسلامي وساهمت في التحضير لبزوغ فلسفة خاصة بالمسلمين تستمد خاصيتها من القرآن الكريم وسنة

النبي عليه الصلاة والسلام، فكان الدور على الفلاسفة اللاهوتيين أو المتفلسفين المسلمين بداية من أبي إسحاق الكندي رائد عملية التوفيق بين الفلسفة والدين في تاريخنا الإسلامي إلى الفلاسفة المشائيين على غرار أبي نصر الفارابي وابن سينا، حيث بلغت الفلسفة مع هؤلاء أوجها، إضافة وعمقا وتأثرا تارة أخرى بأعلام اليونان خاصة أفلاطون وأرسطو، إلى أن تلقت الفلسفة عبر تاريخها لنقد جعلها منبوذة بين أوساطها، بفعل كتاب تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي، الذي شنع على فلاسفة اليونان ومن تبعهم من المسلمين فلسفتهم، واعتبر الجزء الكبير منها كفر وزندقة يوجب الطرد من الملة، إلى أن صحح المسار مع ابن رشد صاحب مرجع التهافت التهافت، الذي يعد نقدا وردا في أن نفسه على افتراءات حجة الإسلام الغزالي. الذي جهل الفلسفة ولم يخبر مفاهيمها وتعدى على حرمة المفكرين ومنتحليها بجعلهم خارج نطاق الإسلام حسب فيلسوف قرطبة.

ولقد تنوعت الفلسفة الإسلامية عبر تاريخها من علم الكلام إلى الفلسفة اللاهوتية إلى التصوف، الذي يعد هو الأخير حقلا معرفيا واسعا زخرت به ثقافتنا، حتى وإن كان نتاج لتلاقح ثقافات شرقية أخرى، إلا أن الأصل الإسلامي والشرعي وفي سلوكيات النبي وصحابته مرجعيه مهمة في تبلوره، فظهرت شخصيات إنسانية بفكرها الصوفي الذي تخطى كل الحدود، كتصوف ابن عربي، الحلاج وغيرهم في هذا اللون المعرفي الذي ساهم في إثراء قوة الحضارة الإسلامية وإضافة لثقافتها الشاملة .

تزداد دراسة الفلسفة الإسلامية قيمة وخطورة في هذا العصر وتعد أكثر من ضرورة سواء كان ذلك للمتخصص في مجال البحث في الفلسفة وقضاياها، أو بالنسبة للإنسان العادي الذي يبغي ثقافة معينة عن تاريخه الإسلامي، إضافة إلى حجم التحديات المطروحة الآن على الساحة الدولية وما أفرزته من مصطلحات الإقصاء والاعتداء على تراث الأمم، ولعل الحضارة الإسلامية تعد أكثر هذه الحضارات تعرضا للنقص والاتهام، فقد أنتجت لنا مختبرات المعاهد الغربية من خلال بحوثها مصطلحات مرفوضة تماما عن ديننا وقيمنا، على غرار الإسلام فوبيا، أو الإرهاب الإسلاموي، أو السياسة الإسلاموية المتطرفة، والتي تهدف جميعها إلى ضرب الإسلام كدين سلام

ومحبة والانتقاص من كل ما هو جميل فيه، من خلال سوق أدلة تاريخية لا تتناسب إطلاقا مع ظروف وجودها أو البيئة التي أنتجها، يغيب عن الغرب تبيئة القرائن ووضعها في سياق لا يمكن أن يكون موضوعيا، الإسلام عبر تاريخه لم ينتشر بالسيف، الإسلام عبر تاريخه لم يضطهد اليهود أو يضيق على أصحاب الديانات الأخرى، الإسلام لا يبغي المؤمنين على أن يؤمنوا، لا يكرههم على اعتناق الإسلام، رسول الإسلام ليس متعصب ولا يحيق بالغير أن يزدري الأديان مهما كان لونها، وبأي أسلوب كانت تدوينا أو رسما كاريكاتوريا كما تنشر بعض الجرائد على صفحاتها من خلال النيل من رموز الإسلام والسخرية من مقدساتها، العودة إلى قراءة التاريخ الإسلامي بعين فاحصة وفق أسس علمية ضروري، للتوضيح شريعة الإسلام السمحة.

ولعل في الفلسفة المنهج الملائم ببراهينها العقلية وحججها المنطقية المتناغمة أساسا مع مبادئ الإسلام الكبرى، ألم تتعلم أوروبا من شروح ابن رشد، ألم تتلاقى أفكار الغزالي وديكارت خاصة من خلال التطابق بين منهجهما في الشك (تبقى فرضية اعتماد ديكارت على أفكار الغزالي في هذا الإطار واردة)، ألم تنتج ثقافة الإسلام فكرا صوفيا يبغي قيم السلام وحرية الأديان وقبول الأخر، إن إسلامنا ومن خلال فلاسفته قد أثروا التراث العالمي بفلسفة عالمية انطلقت أساسا من قيم القرآن العالمية ومن هدي نبيه عليه الصلاة والسلام، الذي كان رحمة للعالمين. وليس صحيحا بالمرة كما ينسب له على أنه دين قريش ظهر في جزيرة جرداء متحكمة فيها العصبية والمذهبية، وبقت معه إلى غاية الآن مع الألفية الثالثة، الفلسفة هي التنوير، العقل، الفهم، التواصل وبها نصحح الأفكار، لأن الفكرة لا تصحح إلا بالفكرة، ولعل في منهجية سقراط من خلال تطهير العقول من الفكر الزائف محطة ونموذج وجب تفعليه في دفاعنا عن الإسلام وقيمه.

الإشكالية:

من المعلوم أن التفكير الفلسفي المنظم والعقلاني بدأ في اليونان، فناقش فلاسفة تلك الحقبة مسائل عديدة تتعلق بالنفس والعدالة وغيرها من المسائل الكونية، حتى وإن كان هذا الطرح نابع من حكم وتعصب للثقافة الغربية بحيث جعل من كل

ثقافة الشرق (الهندية ، الصينية ...) ثقافة لم تصل إلى التفكير الفلسفي الأصيل وأضحى سبق اليونان للفلسفة حكم قطعي ونظرية ثابتة. بيد أن الكثير من الدراسات الراهنة تثبت الميراث الزاخر للشرق و فضله على فلسفة اليونان، فلولا التوارث لما كانت نظرية المثل عند أفلاطون ولولا الرياضيات عند المصريين لما كانت مدرسة فيثاغورس للرياضيات، إن السؤال الذي طرح حول حقيقة اليونان في إنتاجهم لفكر فلسفي، سيتردد صداه حول حقيقة الفلسفة الإسلامية للمسلمين. هل هي فكر أصيل أم فكر دخيل ؟ وهل يمكننا الكلام عن إنتاج لفكر فلسفي خاص بالثقافة العربية الإسلامية؟ أم فلسفتهم عبارة عن ترجمة ونقل؟

للرد على هذا السؤال يتنازع رأيان على وجودها من عدمها، ولكل فريق حججه في ذلك.

2. هل هناك فلسفة لدى المسلمين؟

1.2 نفي الفلسفة الإسلامية:

يذهب الكثير من المستشرقين وعلى رأسهم أرنست رينان (Ernest Renan 1823 – 1892)، في كتابه تاريخ اللغات السامية على أن العقل السامي ليس بإمكانه إنتاج هكذا فكر عكس العقل الآري المتسم بالمزج والتركيب والإبداع، لذا يعتقد أنه من " الخطأ إطلاق فلسفة عربية على فلسفة يونانية منقولة إلى اللغة العربية. لأن شبه الجزيرة العربية لم تعرف مبادئ ولا مقدمات فلسفية. ويبرر رينان أحكامه هذه: بأن الشعوب السامية لا تصلح للنظر العقلي الفلسفي، ولا لإنجاب الفلاسفة (المالكي، محمد الحاج،2002، ص11) وكثير من الباحثين المستشرقين الذين لم يعترفوا بقدرة العقل العربي الإسلامي على التفلسف، ويتابع في هذا الصدد الأديب والفيلسوف (الألماني جوته 28 أوت 1749-1832) الذي اعتبر العقل " السامي عقل مباعدة وتفريق يدرك الجزئيات دون الربط بينهما. أما العقل الآري فهو عقل جمع ومزج وتركيب يربط الجزئيات في كل متناسق" (المالكي، محمد الحاج،2002، مرجع سبق ذكره، صفحة ذاتها). إضافة إلى بعض القرائن التي يرى أصحابها أنها علمية مثلا: قول علماء البيولوجيا أن هناك جنس نقي يمتلك صفات وخصائص باقية معه وثابتة لم تتعرض للاختلاط بين الأجناس

الأخرى. ولم تتوقف مساحة الرفض إلى كل ما هو جميل وقابل للإبداع في هذه الحضارة بل مقومات هذه الحضارة نفسها ترفض كل تفلسف وتفكر.

اعتبر **المستشرق الألماني تنمان صاحب كتاب المختصر في الفلسفة**، أن " المسلمين لم يكونوا أصحاب إبداع فلسفي وخاصة في الجانب النظري منه للعقبات الآتية:

1- كتابهم المقدس (القرآن الكريم) الذي يعوق النظر العقلي الحر.
2- حزب أهل السنة وهو حزب متمسك بالنصوص لا غير.
3- إنهم لم يلبثوا أن جعلوا لأرسطو طاليس سلطانا مستبدا على عقولهم وذلك إلى ما يقدم دون حسن تفهمهم لمذهبه من الصعوبات.
4- ما في طبيعتهم القومية من ميل إلى التأثير بالأوهام" (حسن المالكي، محمد محمد الحاج،2002، مرجع سبق ذكره، ص12). جملة من المبررات الواهية التي لا تصمد أمام الموقف العلمي، من غير الصواب اتهام النص المقدس وجعل من القرآن الكريم سببا وجيها ضد العلم والمعرفة والبحث، الشريعة الإسلامية منهاج حياة، شريعة علم، دعت إلى العلم وفرضه على كل أتباع هذا الدين ولم تحدد سقفا لمجالات المعرفة بما فيها الفلسفة والسؤال، بل أكثر من هذا أنّبت وأوجبت التمعن والتدبر ولم تساوي بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وفي هذا الإطار القرآن العظيم الآيات التي وردت فيه كثيرة جدا ولا يمكن عدها أو ذكرها كلها، (أفلا تعقلون..أفلا تتدبرون ...أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ...والآيات التي وردت فيها مفردة الحكمة وهي الكلمة العربية القريبة في المعنى لكلمة الفلسفة اليونانية كثيرة وظهرت في أكثر من موضع مثلا في سورة البقرة " يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب" (سورة البقرة، الآية 269 رواية ورش عن نافع) وقوله تعالى في سورة النساء " ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما" (سورة النساء، الآية 113، رواية ورش عن نافع) ويقول عزّ من قائل في سورة النحل " أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " (سورة النحل، الآية: 125، رواية ورش عن نافع) ونجد ورود هذه الكلمة في سور أخرى من القرآن (طه – الإسراء– لقمان ..) وعليه يجب علينا أن نميز بين النص الأصلي أن الخطاب القرآني وبين المؤولين له والداعين لفهمه، فرق شاسع بين الفهم البشري المتشبع بثقافة ما أو راضخ لأيديولوجية ما، وبين القرآن الكريم المتعالي الشامل الكلي الذي لا يفرق ولا يقصي أحدا. والقول كذلك أن الفلسفة لدى المسلمين لم تبدأ إلا بعد حركة الترجمة وهذه الأخيرة لا تعد جهدا فلسفيا خالصا، هي مقولة ناقصة لا تنم عن قراءة موضوعية للحدث، لأن الترجمة في حد ذاتها برهان على التفتح وعلى حب الإطلاع والاستفادة من الحضارات الأخرى والمساهمة من ثم في نشر الفكر الحر، ولعل شروحات ابن رشد في هذا المجال واضحة لكل موضوعي.

تمة جزئية أخرى متعلقة بموقف حزب السنة من التفلسف، أولا يجب أن نوضح مسألة في غاية الخطورة وهي اعتبار السنة النبوية أمرا ثانويا وليست أحد ركائز التشريع في الإسلام، هذا أمر مرفوض ولا يمكن قبول تشويه سنة الرسول الأكرم، حقيقة أن التراث الإسلامي تعرض للتحريف والتزييف نتيجة ظروف سياسية ما لكن لم تستطع هذه الظروف القضاء أو تهميش دور السنة النبوية، لذا اتهام فريق معين الذي يقوم بالذود عن محارم الإسلام بأنه حزب متطرف ظاهري لا يقبل الفهم والتأويل ويأخذ النصوص كما هي على ظاهرها مما يوقع في التناقض والتجسيم والرفض ليس صحيحا، وإنما وجب علينا فهم السياق العام، لأن " أهل السنة لم يشكلوا سلطة دينية تحارب الفكر باسم الدين كما فعل المسيحيون في العصور الوسطى و إنما ..خشي هؤلاء على عقائد المسلمين أن توتر عليها هذه الفلسفة" (المالكي، محمد الحاج،2002، ص13). ويمكننا أن نلخص كل هذه النقاط في النتيجة التالية وهي أن لا عقل يسمو فوق العقل الغربي وان الفلسفة اليونانية " قد سدت منافذ الإبداع الفلسفي على اللاحقين إذ أنه – بحسب رأيهم – قد أكملت رسالة الفلسفة في تفسير الكون والإنسان المبدع الأول، ومن ثم لم يبق للخلف إلا أن يجيد النقل عنها ويتقن الشرح لنصوصها والإبانة عن متعلقاتها، والتعليق على مسائلها، وقد سار على هذا الدرب الهللليون والرومان

والمسيحيون ومنهم السريان، وكان على المسلمين أن يتسلموا هذا التراث عن هؤلاء. فيسلموه للمدرسيين وفلاسفة القرون الوسطى من المسيحيين واليهود، فكأن دور المسلمين في هذه السلسة لم يخرج عن كونهم نقلة للعلم الفلسفي اليوناني " (أبو ريان، 2000، ص06.) ومن هنا يحق لنا السؤال هل صحيح أن المسلمين هم مجرد نقلة للعلم اليوناني ولا أثر للإبداع الفلسفي؟

2.2 إثبات الفلسفة الإسلامية:

أولا لا يمكن اعتبار العقل عقلان عقل مبدع وعقل ساذج لا يمكنه إنتاج فكر معين خاصة، أن هذا التقسيم قائم على الجنس وليس على الجهد، كما أننا نجد في القرآن الكريم دعوى صريحة لإعمال العقل والتدبر والتأمل مثل قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض و اختلاف الليل و النهار لآيات لأولي الألباب) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (مازال الرجل عالما ما طلب العلم فإن ظن إنه علم فقد جهل)، أيضا نجد للعروبة والعربية نصيب في إنتاج فكر وفلسفة إسلامية من خلال أهم مقوماتها ألا وهي اللغة العربية فهي تحمل في ثناياها تصنيفات الفقهاء والعلماء وفي معظمها تساهم في توحيد لسان المسلمين وتسيير حفظ القرآن والأحاديث إضافة إلى علوم الدين. ولا يمكن أن تكون الفلسفة الإسلامية " تمثلا كاملا للفلسفة الهلينستية فحسب، بل كانت أيضا ذات اتجاهين رئيسيين: الاتجاه الأفلاطوني، والاتجاه الأرسطي، ولقد أضاف الفكر العربي الإسلامي إلى هذين الاتجاهين مضامين وأساليب مستجدة تعبر عن أصالة الفكر الديني الإسلامي" (منيمة،1974، ص87) وهذه حقيقة لا يمكن إغفالها أن الأفلاطونية والأرسطية قد قسمت توجه فلاسفة الإسلام.

" فإذا كان الفارابي وابن سينا ينزعان منزعا أفلاطونيا محدثا، وابن رشد ينزع نزعة أرسطية صرفة: فإن هذا لا يجب أن يعني أن الفلسفة الإسلامية كانت مجرد تمثل للفلسفة اليونانية. كما أن الفلسفة الإسلامية لم تكن لتكتفي بمجرد التوفيق بين النزعة العقلية والنقلية، أو بين العقل والنقل، بل تجاوزت الحقائق الدينية كإثبات الخل المباشر لله، وحشر الأجساد، والقضاء والقدر، إلى أساق فلسفية مثالية ومادية

مختلفة" (منيمة،1974، ص87) أساسا هي جملة من الأفكار التي غابت عن دائرة اليونان، وهي حكر على ثقافة العرب والمسلمين انطلاقا من مرجعيتهم الدينية التي تشير إلى هذه الأحوال، ثم الجهد العقلي في هذا الإطار توفيقا كان أو تجاوزا واضح ولعل كتابات الفلاسفة المسلمين والصراع الفكري الذي حدث بينهم دليل على الحرية الفكرية الحاصلة وعلى عملية النقد التي حركت كتابات هؤلاء، ونجد كثير من المفكرين الغربيين يعطون لجهد لهؤلاء وأن مساهمتهم جلية في هذا الباب لكن للأسف يعتريها التناقض، لقد وصف المستشرق والدبلوماسي والوزير النمساوي الفرد فون كريمر (1828-1889) "Von Kremer مثلا النشاط العلمي عند المسلمين فقال" إن أعظم نشاط فكري قد قام به العرب يبدو جليا لنا في المعرفة التجريبية ضمن ملاحظاتهم واختباراتهم. فإنهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين يلاحظون ويمحصون... و بصفتهم أصحاب ملاحظة دقيقة، وبصفتهم مفكرين مبدعين فإنهم قد أتوا أعمال رائعة في حقل الرياضيات والفلك " (كمال، جعفر،1986، ص20) .

وإن كان هذا الحكم جزئيا وذكر للفضل مجزئا لأن كريمر عبر أن حقل الفلسفة والتجريد لم يكن بوسعهم تعدي الحدود الأفلاطونية والأرسطية وهذا بسبب مساحة الخيال عندهم الذي يمنعهم من بلوغ المعرفة التجريدية، لكن هذا النص يوحي لنا بتناقض صريح لا يمكن فهمه إلا أنه إنكار للجهد وتقزيم للفكر الفلسفي. والخطأ نفسه وقع فيه المفكر ماكدونالد حينما أعتبر أن البحث " الذي لا يعلم صاحبه إلى أين سيؤدي به، ولا النتائج التي قد يسفر عنها، ولا يأبه بها سلفا، فمحرم في الإسلام حتى إن اللهو والتسلية البريئة يجب أن يجد لهما من النفع ما يبرر الانغماس فيهما " (كمال، جعفر،1986، ص22.) وحتى نكون موضوعيين لا يمكننا أن نتهم هؤلاء المستشرقين الذين قدموا أنصاف القراءات على تراثنا من دون تبرئة ساحتنا من المفاهيم المغلوطة والخطابات التي جلدت الذات وقدمت أحكاما جاهزة على ثقافتنا، فمثلا عندما نقرأ لابن خلدون الذي أشار في مقدمته أنه" من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، لا من العلوم الشرعية، ولا من العلوم العقلية، إلا في القليل النادر، وإن كان منهم العربي في قبسته، فهو عجمي في مرباه ومشيخته، مع أن الملة

عربية وصاحبها في شريعته عربي" (كمال، جعفر، 2002، ص26) صحيح يبدوا الحكم ظاهريا قاس لكن وجب تحليل وتأويل قول صاحب المقدمة ابن خلدون، لأن العرب عموما الذي قصدهم قد يكون بدوا ولا ليس جنسا أو عرقا، ثم التاريخ يشهد على فتوحات كبيرة قام بها العرب والمسلمين لبلاد وأقطار من العالم زادتها انفتاحا وكمالا (حضارة الأندلس)، بل يمكننا القول أن حضارتنا قد تعرضت لهمجية الغرب المسيحي الذي عاث فيها فسادا.

العكس تماما الذي يجب أن نسوقه عن الإسلام الذي كان رسالة علم ومعرفة، ولقد كان" من تأثير الإسلام على هذه الفلسفة أن طرحت مسائل عامة من خلال الصياغات الفكرية الكلية للعقائد الإسلامية فحسب. وذلك كمشكلة الإرادة الإلهية، ولكن لم يؤخذ أبدا في سياق الفلسفات الإسلامية، بالحلول الدينية، بل أخذ بصيغة أعم هي الحتمية الميتافيزيقية والفيزيقية " (منيمة، 1974، ص88) ولعل في مسائل علم الكلام الذي يعد علما أصيلا تمخض من صراعات فكرية أساسها الحرية التي منحها الإسلام لمعتنقيه ما يوضح تلك القدرة الكبيرة على الإبداع الفلسفي، ولا يعني إطلاقا أن علم الكلام كان مؤيدا للعقائد الإسلامية و شارحا لها فقط، بل أضاف لمسائل الجدال الشيء المهم حتى وفّر للفلسفة مادة غزيرة لم تكن مرتبطة بالنصوص الدينية وملتزمة بها.

فلقد كان " أبي نصر الفارابي أول الفلاسفة الذين أقاموا نسقا فكريا متكاملا في الإسلام. بينما كان الكندي أول فيلسوف عربي إسلامي عرفه تاريخ الفكر. ولقد استوحى فيما يختص بمشكلة الحرية الصيغة الإسلامية المعروفة بالتدبير الإلهي وأعطاها مضمونا فلسفيا حتميا يقترب من الجبرية الكلية اقترابا شديدا" (منيمة،1974، ص89) وحتى المستشرقين لهم أراء متناقضة ليست على موقف واحد وهذا يدل على غياب الموضوعية أو إطلاعهم الناقص على تراثنا، الفرنسي رينان الذي صنف الأجناس إلى أعراق سامية وآرية مفكرة مبدعة وأخرى ناقلة جامدة، يقول الذي لقد" اتخذ العرب من تفسير أراء أرسطو وسيلة لإنشاء فلسفة ملأى بالعناصر الخاصة المخالفة جد المخالفة لما كان يدرس اليونان " (المالكي، محمد الحاج، 1993، ص14). ولا

يمكن كذلك أن ننكر أن الإسلام كعقيدة ومنهاج قد صقل العقل العربي وجعله عقلا تنويريا إنسانيا بحيث "وحّد شمل العرب وألف بين قلوبهم، ومكن لهم في الأرض، ونقلهم من الحياة القبلية إلى الحياة القومية والإنسانية، أدى ظهوره إلى فكر جديد تجلى في علوم التفسير والحديث والفقه وأصول الفقه، وفي نشاط المذاهب العقلية،والفرق الإسلامية التي أخذت تستخدم القياس والنظر العقلي في تفسير الأحكام الشرعية، ففي الإسلام دعوة إلى ترقية شأن الإنسان ماديا ومعنويا وفيه حض على تحرير النفس والعقل " (صليبا، 1989، ص16) كل مقومات الحضارة والإبداع الفلسفي قد مهد لها الإسلام وأرسى أسسها، السؤال، مسألة الله، الخلق، العالم، الموت... مواضيع نجد لها في القرآن توضيح وإشارات تغذي العقل على التفكر والتدبر. ولمعرفة أسباب تلك القراءات المتناقضة حول الإسلام وحضارته وجب الوقوف عند الحركة الإستشراقية المسؤولة بصورة كبيرة عن هذا الزيغ والتأرجح في إصدار الأحكام حول تاريخ الإسلام والمسلمين ومفكريه.

3. الإستشراق: *orientalism*

1.3 الإستشراق بين الإعتزاز والإستنفار:

الإستشراق اتّجاهٌ فكريٌ، يُعنى بدراسةِ حضارةِ الأممِ الشرقيّةِ بصفةِ عامّةٍ، وحضارةِ الإسلامِ والعربِ بصفة خاصة، وقد كانَ مقتصراً في بدايةِ ظهورهِ على دراسةِ الإسلامِ واللغةِ العربيةِ، ثمّ اتّسعَ ليشملَ دراسةَ الشرقَ بكل حمولته المعرفية والثقافية (اللغةِ، الدين، التقاليد..) يعرفه القاموس الفرنسي " بأنه مجموعة المعارف التي تتعلق بالشعوب الشرقية ولغاتهم وتاريخهم وحضارتهم " (مغلي،2002، ص 39.) ولغويا مشتق من كلمة الشرق والمقصود به الشرق العربي، وجرى توافق على الفهم الاصطلاحي لهذا المفهوم على أنه اهتمام من علماء الغرب بعلوم المسلمين وتاريخهم وكل معرفة لديهم أو مكون لثقافتهم، وللإستشراق تباين في الحكم عليه فنجد من باحثينا من يعتز به ويظهر الإعجاب به وفريق أخر يرى فيه أحد الأدوات الاستعمارية المتواصلة على هذه الأمة وميراثها، أما التأريخ لبدايته فليس هناك تاريخ محدد له وتباينت الآراء حوله على

الاهتمام الأول بعلوم الشرق وثقافتهم " فتعددت الآراء حول البدايات الأولى للاستشراق على أحد عشرة رأيا، بعضها يعطي تاريخا بعينه، وبعضها الأخر يعطي حقبة أو عصرا من العصور التي مر بها الشرق أو العالم، والبعض الأخر لا يعطي زمنا، و إنما يعتمد على حوادث أو غايات أراد الإستشراق الوصول إليها، فجعلت هي البدايات، فبينما يعزو بعضهم نشأة الإستشراق إلى صدر الإسلام بسبب احتكاك المسلمين بالروم في غزوة مؤتة وتبوك، ومن يومها وقف المسلمين والنصارى موقف خصومة سياسية، يذهب فريق أخر إلى أن الباعث على نشوئه هو الحروب الصليبية التي كانت نتيجة الاشتباك السياسي والديني بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين " (محمد ماجد،2007 ، ص10). مهما يكن من تأويلات على البداية الفعلية لهذه الحركة إلا أنها أثارت مجموعة من التساؤلات والإشكالات التي فهمت تارة على أنها في صالح الحضارة الإسلامية وأحيانا أخرى اتهمت على أنها دعوة للنيل من مقدرات الأمة ومقوماتها.

من جملة المسائل التي طرحت على التراث الفكري للمسلمين هو الاختلاف حول حقيقة الفلسفة، هل هي عربية أم إسلامية؟ وفي هذا إشارة مبطنة على محاولة التمييز بين العرق والجنس العربي والعجم الذين اعتنقوا الإسلام ودافعوا عنه.

2.3 فلسفتنا إسلامية أم عربية:

يعتقد كثير من الباحثين على أن الخلاف حول التسمية لا يفيد في شيء مدام أن المكونين لها وهي العربية وكذا الإسلام لا يمكن الفصل بينهما، وأن التفاعل بين الإسلام كعقيدة واللغة العربية كجهاز حامل لهذه المعرفة والمفاهيم لا ينفصلان، يبقى الجدل في هذه القضية غير مبرر، في حين يرى البعض أن الفصل في المسألة ضروري لتوضيح مساهمة العرب كحضارة في هذا التراث ومدى ايجابيتهم في حمل معالم الرسالة السماوية والتفتح على غيرهم من الثقافات، ورفض مقولة الجنس السامي الملتصقة بالعرب كجنس. وإن كان البعض يذهب إلى رفض هذا التبرير " بعروبة هذه الفلسفة على أنها مدينة للجنس العربي وحده، وإنما المقصود بها انتماؤها إلى الثقافة العربية، لقد كانت اللغة العربية لغة مفكري الإسلام، كما كانت لغة مفكري القرون

الوسطى اللغة اللاتينية، هل كان بوسع الفارابي أن يبرز في الفلسفة لو كتب باللغة التركية المنتشرة في زمانه، وإذا كان الفلاسفة المسلمون من غير العرب قد أنتجوا ما أنتجوه من الآثار الخالدة، فليس مرد على ذلك إلى انتماؤهم إلى هذا الجنس أو ذاك، وإنما مرده إلى الثقافة العربية التي تأثروا بها" (صليبا، 1989، ص11) إضافة إلى وجوب الإقرار بأن الإسلام الذي أثر في تكوين هذه الفلسفة وإثرائها عربي، ولغته عربية، ورسوله عربي، لذا من الصعب أن نصطلح عليها بغير اسم الفلسفة العربية. ومع ذلك هامش الرد وعد الاقتناع بهذه الأطروحة يبقى قائما " فعلى الرغم من أن العرب هم الرواد الأوائل للثقافة الإسلامية، إلا أن اطراد تقدمها وسعة انتشارها لم يتحقق إلا بفضل مساهمة الشعوب الإسلامية غير الناطقة بالعربية أو بلغاتهم الأصلية، هذا بالإضافة لمجهودات أفراد من المسيحيين واليهود ممن أضالتهم الحضارة الإسلامية في عهدها الزاهر " (أبو ريان،2000، ص07)

3.3 الفلسفة الإسلامية: المفهوم والخصائص:

الفلسفة الإسلامية كما يقول الأستاذ محمد عويضة في مقدمة كتابه الفلسفة الإسلامية" بأنها ليست خليطا من فلسفات اليونان، عربت ألفاظها بلون إسلامي، بل هي وان استعانت بفلسفة اليونان، فلسفة قائمة بذاتها، لها مشاكلها الخاصة بها فهي تبحث في الوحدة والتعدد، وفي الصلة بين الله ومخلوقاته، وتحاول أن توفق بين العقل والنقل (الدين) (عويضة، كامل،1995، ص03). لكن يبقى هذا التوصيف عام لا يحدد المعنى الحقيقي للمتخصص في الفلسفة الإسلامية على اعتبار أن هناك مجالات تابعة للفكر الإسلامي تندرج تحت هذا المسمى الكبير وهو الفلسفة الإسلامية على غرار علم الكلام والتصوف، فإذا كانت الفلسفة هي التفكير العقلي المحض أو الخالص، فقد لا يمكننا أن نستوعب في ثنايا هذه الحقول المعرفية، وعليه تبقى الفلسفة الإسلامية كما يعتقد عبد الرحمان بدوي على أنها تقتصر على الفلسفة المشائية (الفارابي، ابن سينا) من دون باقي المعارف الأخرى كعلم الكلام وغيرها. لكن مع ذلك تبقى عملية الفصل صعبة لأننا قد نشاهد نوع من التقاطع في عملية البحث بين علم الكلام والفلسفة وكذا التصوف، لأن لا يوجد فصل تام، أو حدود ثابتة بين هذه المعارف، " هل نستطيع أن

نفصل بين الفلسفة وبين الدين والفن والعلم والسياسة التي وجدت في نفس العصر الذي وجد فيه هذا المذهب الفلسفي أو ذاك؟ " (بدوي ،1979 ص12) وقد حاول المفكر بدوي أن يقدم بحثا شاملا حول حقيقة الفلسفة الإسلامية " التي قد أثرت بدورها وانتقلت إلى الأوربيين. ومعنى هذا أنه كانت ثمة صلاة بين الشرق والغرب لا نستطيع أن ننكرها، وعلى كل حال فإن الفلسفة الإسلامية تحتل مكانا ضخما في دراستنا، نظرا لعدنا شرقيين تقريبا، ومسلمين غالبا " (بدوي ،1979 ص11).

كما يمكننا استخدام مصطلح الفلسفة الإسلامية للإشارة إلى الأفكار الفلسفيّة المعتمدة على النصوص الدينيّة في الإسلام للتعبير عن الأفكار المتعلقة بالكون وطبيعة الخلق والحياة والله وعلاقة الله بالعالم.، ويمكننا كذلك استخدام المصطلح بصورة أشمل لينضوي تحته كل التصورات الفلسفية والأعمال الفكرية التي أُنتجت في ظل الثقافة الإسلامية والحضارة التي أنتجتها الدولة العربية في كافة أقطارها، حتى نلغي جدلية الفلسفة العربية من غيرها أو الإسلامية من العربية، وذلك دون ربطها بالعلوم الشرعيّة كذلك، حتى لا يسبب هذا لبساً لدى البعض في التفرقة بين الفلاسفة المسلمين وبين غير المسلمين الذين عاشوا في ظل الحضارة الإسلاميّة. أما الشيخ مصطفى عبد الرزاق فيرى أن علم الكلام والتصوف إذا كانا قريبي الصلة بالفلسفة فإن حتى " علم أصول الفقه المسمى بعلم أصول الأحكام ليس ضعيف الصلة بالفلسفة ومباحث أصول الفقه تكاد تكون في جملتها من جنس المباحث التي يتناولها علم أصول العقائد الذي هو علم الكلام.. والتوسع في دراسة تاريخ الفلسفة الإسلامية سينتهي ضم هذا العلم إلى شعبها " (عبد الرزاق،1995 ، ص27).

وهذا ما يعني أن جملة المعارف والعلوم التي ظهرت في تاريخ الإسلامي يمكننا دمجها كلية مع الفلسفة الإسلامية وليس صحيحا الفصل بينها أو إقصاء واحد منها، وعليه الفلسفة الإسلامية هي علم الكلام وعلم أصول الفقه، التصوف وكل المجالات المعرفية التي تعتمد على هذه المبادئ. " ليس ثمة شك أن الفلسفة الإسلامية، هي التعبير النهائي المتجدد للأمة الإسلامية، والانفتاح المنصهر السيال لتطور هذه الأمة الخلاق خلال الدهور. وليس في حياة المسلمين ولا في تاريخهم من حقائق أخطر ولا أدق

من حقائق هذه الفلسفة الإسلامية، إنها جوهر حياتهم، ومرآة تطورهم وانعكاس لما في باطن مجتمعهم من أمال وألام، ولقد شملت هذه الفلسفة أفاقا متعددة، واقتحمت ميادين متسعة، ميتافيزيقية وطبيعية وأخلاقية وسياسية " (النشار ،1995، ص22) للعلم أن المفكر سامي النشار حاول أن يبحث وينقب في أصالة الفلسفة الإسلامية من خلال البحث عن منهج يمكننا وفقه من معرفة خصوصية فلسفتنا وكذا ميزاتها عن غيرها من الفلسفات، لأن حسبه كثير من الباحثين كانوا قد وضعوا الفلسفة الإسلامية في دائرة التفكير اليوناني الذي حدد طبيعة هذه الفلسفة، خاصة بعد حركة الترجمة. " إن الاختلاف في نظر الباحثين في الفلسفة الإسلامية قديما وحديثا من الكثرة والاتساع بمكان كبير. فقد جحد بعض الكتاب المحدثين المسلمين، وغالية الباحثين الأوربيين الفكر الإسلامي كل طرافة وإبداع. وأعلنوا أن الفلسفة الإسلامية هي فلسفة الفلاسفة: الكندي والفارابي وابن سينا وابن باجة وابن طفيل وابن رشد...تلك الطائفة التي عرفت بفلاسفة الإسلام، وحاولوا بمنهج مقارن أن يبينوا التطابق تام بين ما يسمى بالفلسفة الإسلامية والفلسفة اليونانية " (النشار،1995، ص46) لكن بالرغم من هذه الدعوى إلا أنه لا يمكن أن ننكر أن لفلسفة المسلمين خصائص معينة تجعلها فريدة.

4. خاتمة:

تناولت الفلسفة الإسلامية المسائل التقليدية الكبرى (مسألة العالم والإنسان) وفصّلت القول فيها، متأثرة بالمناخ الإسلامي السائد آنذاك، واستعانت بما هو موجود من دراسات فلسفية سابقة، شرقية وغربية، وهي ما نطلق عليه " بالمنطلقات الموجودة في هذين المصدرين المقدسين فمعنى هذا أنه باستخراج النصوص القرآنية والحديثية المتناولة لهذه التوجهات يجتمع لدينا أخر الأخر محصول وفير من المنطلقات يمكن بحق أن نطلق عليها (الفلسفة الإسلامية) " (بسيونى،1997، ص06.) وبفعل ثراء الساحة الفكرية فقد تكونت عدة آراء ومدارس وإن اختلفت عن بعضها في بعض التفاصيل إلا أنها اجتمعت في أمور عامة يمكن تسميتها خصائص الفلسفة الإسلامية، ومن خصائص الفلسفة الإسلامية ما يأتي:

1-فلسفة دينية وروحية: تقوم الفلسفة الإسلامية على الدين وتعوّل على الجانب الروحي وتوليه جانبا كبيرًا، بحكم نشأتها في مجتمع مسلم. بحيث تربى رجال الفلسفة الإسلامية وتلقوا علومهم الدينية وقد بدا هذا واضحًا في أفكارهم والمواضيع التي طرحوها وناقشوها.

2- فلسفة عقلية: اهتمت الفلسفة الإسلامية بالعقل وأولته كبير العناية " صحيح أن الإسلام نظم كثير من المعارف وضبط حركة الفكر إلا أننا نجد العقل قاسما مشتركا في كل إبداعات العلماء والمفكرين العرب والمسلمين " (سعيد،2000، ص 09) إلا أن التعليل والبرهان هما ثمرة العقل والتفكير العقلي السليم، وبواسطته يتم اكتشاف الحقائق العلمية فهو من أهم أبواب المعرفة.

3-فلسفة توفيقية: من خصائص الفلسفة الإسلامية أنها توفيقية وذلك لأنها توفق بين الفلاسفة فيما بينهم ولكن الفلاسفة المسلمون كانوا أشد عناية بما أنتجه أرسطو وأفلاطون وما ألفوه وقرروه في علم الفلسفة. فلسفة وثيقة الصلة بالعلم بعض الفلاسفة المسلمون علماء قبل أن ينشغلوا في الفلسفة مثل الكندي والفارابي، وقد اهتمت الفلسفة الإسلامية بالعلم فقد أخذت عنها وأخذ عنها ففي الفلسفة مسائل علمية كثيرة كما احتوت البحوث العلمية على قضايا فلسفة متعددة، وقد كان فلاسفة الإسلام يعتبرون العلوم العقلية جزء لا يتجزأ من الفلسفة. للعلم أن مسألة التوفيق قد أخذت حيزا كبيرا في جهود الفلاسفة سواء كانوا مسلمين أم غيرهم، إشكالية كان من الضروري إعطائها الأهمية اللازمة لأننا أمام حقيقتين، الحقيقة النقلية (الدينية) والحقيقة العقلية (الفلسفية) ولم يكن من السهل إلغاء أحداهما مدام أن المصدر واحد أو أن هناك وحدة للحقيقة حسب تعبير ابن رشد، عملية التوفيق في الحضارة الإسلامية كانت نتيجة الرفض الشائع خاصة من بعض شيوخ الطبقة الدينية للفلسفة واعتبارها رافد غير مرحب، الفلسفة البث فيها مرفوض شرعا، لذا كان من الضرورة بما كان تحليل هذه المسألة وكشف اللبس فيها وهكذا بالفعل فعل الكندي ومن بعده الفارابي وابن سينا في أشكال التوفيق المختلفة.

قائمة المراجع:

1. أبو ريان محمد علي.(2000). **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**، المقدمات العامة، الفرق الإسلامية، وعلم الكلام-الفلسفة الإسلامية، قناة السويس، مصر: دار المعرفة الجامعية.
2. النشار علي سامي.(1995). **نشأة للفكر الفلسفي في الإسلام**، الجزء الأول، ط09، القاهرة، دار المعارف.
3. حسن المالكي، محمد محمد الحاج.(1993). **محاضرات في الفلسفة الإسلامية**، نظرية المعرفة في ثوب جديد، بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع.
4. القرآن الكريم،سورة البقرة، الآية 269 رواية ورش عن نافع .
5. 5.بدوي عبد الرحمان. (1979). **ربيع الفكر اليوناني**، بيروت لبنان: دار القلم وكالة المطبوعات.
6. بسيونى إبراهيم.(1997). **الفكر والفلسفة الإسلامية**، الجيزة، مصر: دار الأمين، طبع نشر توزيع.
7. جميل منيمة.(1974) **مشكلة الحرية في الإسلام**، بيروت لبنان، دار الكتاب اللبناني.
8. محمد كمال، إبراهيم جعفر.(1986). **في الفلسفة الإسلامية دراسة ونصوص**، ط1، الكويت ،مكتبة الفلاح.
9. مغلي محمد بشير.(2002). **مناهج البحث في الإسلاميات**، الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
10. محمد عويضة كامل محمد.(1995). **الفلسفة الإسلامية**، بيروت لبنان: دار الكتب العلمية.
11. مراد سعيد.(2000). **العقل الفلسفي في الإسلام**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.
12. صليبا جميل.(1989). **تاريخ الفلسفة العربية**، بيروت، لبنان: الشركة العالمية للكتاب، ش.م.ل.

13. عبد الرزاق، مصطفى.(1995). **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية.